ان هذه المشابهة من الواقع ـ النسيج الروائي للراهن الاجتماعي والواقع الانساني ، او للنسيج الانساني ، هي الامتلاك المعرفي ، أما الصوغ الادبي ، بما فيه من رموز واستعارات ونسيج وعلاقات شخصيات وطرائق سرد وبناء روائي ، فهو الامتلاك الجمالي للمعرفة التي هي الراهن الاجتماعي ، أو موضوع الجمال . ان الرواية كجنس ادبي ، وكأسلوب كتابة ، تصبح ، ضمن هذا الفهم ، امتلاكا جماليا للوضع الاجتماعي في مستوى أول هو « امتلاك الراهن » ، كما تصبح ، في مستوى ثان ، امتلاكا جماليا ، او مظهرا جماليا للواقع الانساني الشامل . الرواية تصبح المجتمع والعالم مكثفا ، ويصبح الوجود الاكبر كونا مصغرا مثلما تقدم الذرة نموذجا مصغرا للوجود ككل .

ب ـ امتلاك الواقع :

امتلاك الراهن في الرواية هو تقديم الحركة الاجتماعية روائيا . فالرواية مجتمع مصغر أو مقطع من مجتمع : انها ، تحديدا ، شبكة من العلاقات وتتالي الاحداث الروائية . لكن كما للراهن الاجتماعي ـ أي للحالة الاجتماعية ـ جوهره ودلالته وسياقه في الحركة الاجتماعية العامة ، كذلك للرواية ، وللراهن فيها ، دلالتهما وجوهرهما وسياقهما في مفهوم الروائي ورؤيته ككل . ان اشخاصا مختلفين قد يقدمون استنتاجات مختلفة بناء على ظاهرة واحدة ، وكذلك الرواية ، كشبكة علاقات مشابهة لشبكة العلاقات الاجتماعية ، تقدم امكانيات تفسير مختلفة لشبكة علاقاتها وشخصياتها . لكن في حالة الرواية ، كعمل فني يتدخل فيه الخيال والقصد حتما ، هناك شرط اساسي آخر هو أن تكون الرواية « صادقة » .واطلاق صفة الصدق هنا ليس اخلاقي القصد ، بل موضوعي الدلالة ، انه يعني الدقة والتناسق ، بل والمتانة في شبك العلاقات : انه يعني النمذجة الدقيقة للحالات والشخصيات . فالحركة الاجتماعية معطى مباشر وعياني وموثق بالتاريخ : أي انها غير خاضعة للكذب ، وان كانت خاضعة لهوى التفسير . أما الرواية ، فهي بناء اكثر تعقيدا : انها بناء مركب يشيد فوق الواقع واقعا آخر ينمذجه ، انها الواقع الحقيقي مكثفا ومضافا اليه الفن ، الجمال ، محتويا تفسير كاتب الرواية للواقع ، هذا التفسير الذي يقدم في الرواية لا بجملة او مشهد روائي ، بل يأتي عبر نوعية شبكة الحوادث والعلاقات ودلالة مثل هذه النسيج العام . ان هدف العمل الفني ينبثق من العمل الفني نفسه ، والتصوير الصادق للعلاقات الاجتماعية في الرواية هو الذي يشير الى الهدف الذي تتضمنه الرواية ، بل هو اياه ، لان التصوير الصادق للحركة الاجتماعية هو رؤية للحركة الانسانية في اتجاه حركتها ، هو امتلاك معرفي للواقع . والامتلاك المعرفي للواقع هو المستوى الأعمق والأشمل لامتلاك الراهن ، انه جوهر الراهن ودلالته وتفسيره .

تنسج الرواية بناء ذهنيا متمثلا لراهن اجتماعي ، وهي لذلك اكثر تعقيدا من الواقع الاجتماعي : لانها حصيلته وتكثيفه وتفسيره من وجهة نظر مغرضة . ففي الادب عموما ، والرواية منه ، مجال كبير للكذب ، لا بمعناه الاخلاقي ، بل الكذب بمعنى سؤ القصد والتفسير المتأتيين عن اسباب قد تكون ذاتية كضعف موهبة الكاتب ومعرفته ، وقد تكون موضوعية ، كالمصلحة الطبقية . اما عندما يكون الكاتب امينا في تصوير الواقع الاجتماعي ، أي دقيقا في وصفه وفي نقل شبكة العلاقات الاجتماعية بتعقيدها الى الرواية ، ونمذجتها في شبكة علاقات روائية كما في الثلاثية أو الأب غوريو مثلا ، فانه (الروائي) يقدم في هذه الحالة ، لا لنفسه